أدب الرحلات عبر القرون المختلفة

دراسة تاريخية

حافظ عبد الرحيم*

تمهيد

من أهم وظائف الأدب أن يعكس تجربة الأديب، يصورها لنستمتع بها، أو لتتصادى فى نفوسنا بما تداعب به عواطفنا وأفكارنا ومخيلتنا.من هنا تروق لنا كتابة السيرة والسيرة الذاتية وأدب المذكرات والرحلات وما شابهها، مع أن بعضنا يرى فيها كشفًا خاصًا لا مبرر له ، ناسين أن الكشف الذاتى هو أصلا وقبلا من مقومات الأدب وأسسه .ومنذ أن درست أيام طه حسين و حياة أحمد أمين تابعت الكتابات الذاتية، والرحلات فكنت أعايش وأرافق، وأسافر الى البلاد العربية وغيرها...،كما قمت بكتابة "رحلتى إلى الأردن "أثناء سفرى نحو المملكة الأردنية الهاشمية سنة٢٠٠٤م٢٠٠٥م، على منحة دراسية التى قدمها مجلس التعليم العالى الباكستانى لما بعد الدكتوراه فى اللغة العربية ؛ (إجازةالتفرغ العلمى) لاستضافة جامعة البلقاء التطبيقية ، كلية أصول الدين الجامعية عمان.

وكانت الصحافة العربية تنشر فى الستينيات والسبعينيات انطباعات عن رحلات معينة هنا وهناك، فكان بعض كتابنا يقدمون مادة سائغة وشائقة.فأين تجد مثيلا لمذكرات الأستاذ سليم نحاس بعد تقاعده؟ وأين تجد أسلوبًا كأسلوب الصديق محمد على طه فى انطباعاته عن رحلة قام بها هو ونبيه القاسم إلى تونس؟

وقد روى إلادريسى ١١٠٠-١١٦٥فى نزهة المشتاق عن فتية من شباب لشبونة توغلوا فى بحر الظلمات وحكاية ما جرى لهم فى الجزائر البعيدة ومع الشعوب الغريبة.

ولكم رحلات ماركوبولو (١١٤٥-١٢١٧) وابن بطوطة(١٣٠٣-١٣٧٧) وابن جبير(١١٥٤-١٢١٧)،وابن فضلان (٩٢١م) فما زادنا ذلك إلا إحساسًا بقيمة هذا اللون

☆ أستاذمشارك للغة العربية -جامعة بهاء الدين زكريا، ملتان،باكستان

الأدبى لما فيه من وصف وحكاية وتشويق وإثارة.فما أحوج صحافتنا المحلية ـ هذه الأيام ـ إلى تحفيز هذا اللون، فتنتشر المقالات مصحوبة بالصور، وبالطبع تكون مشفوعة بالعبر.

كذلك يحث الإسلام على الرحلة، ويدعو إلى السفر والسياحة فى الأرض، طلبا للعلم والمعرفة، والتفقه فى الدين، مما جعل السفر تراثا يتصل بالتاريخ الإسلامى لدى جميع الشعوب الإسلامية "الأرض لله "وطبقا للأمر القرآنى :(سيروا فى الأرض) بدأ المسلمون فى السفر هنا وهناك، وازدهرت الرحلات فى عصر ما بعد الفتوحات الإسلامية، ونشطت باتساع رقعة العالم الإسلامى وما حوله جنبا إلى جنب مع ازدهار الفكر وتنوع منابع المعرفة.

أهمية أدب الرحلات:

وللرحلة أهمية علمية وأدبية، فأدب الرحلة هو النمط الأدبى الوحيد الذى له علاقة وطيدة بجميع العلوم الاجتماعية تقريبا، وقد استفاد من هذا النمط الأدبى المؤرخون كتاب السير، وعلماء الجغرافيا، إفادة كبيرة، ولهذا السبب احتل أدب الرحلة فى جميع لغات العالم مكانة عالية، ومن الناحية الأدبية يرى البعض أن الرحلات من أهم فنون الأدب، ويخصون بالذكر الأدب العربى لسبب بسيط هو طبقا لرأى الدكتور شوقى ضيف " :أنه خير رد على التهمة التى طالما اتهم بها هذا الأدب ..أى تهمة قصوره عن فن القصة(١)ـ

وكتب الرحلات تقدم قصصا وحكايات، يكون البعض حقيقيا، ويكون البعض الآخر من نسيج الخيال ويهمنا هنا أن نذكر أن الجغرافيين العرب والمسلمين، اتبعوا طريقة ممتعة فى وصف عالمهم والعوالم المحيطة بهم، إذ عنوا بالحديث عن عادات الأمم والشعوب وطباعها، وما بديارها من آثار وعجائب، وقصوا ما عندها من أساطير وخرافات، وبذلك أصبحت كتبهم الجغرافية كتبا أدبية(٢)كما أنه يمكن للدارسين استخلاص مادة لما يطلق عليه اليوم التراث الشعبى، سواء كان ذلك فى رحلات الواقع أو رحلات الخيال(٣)

دواعى الرحلة وأسبابها واهتمامات الرحالة:

حث الإسلام كما ذكرنا على السفر، وشجع عليه بالتخفيف على المسافر فيما يتعلق

بالصوم والصلاة، فانطلق الرحالة هنا وهنالك ساعين فى طلب العلم والاستفادة من العلماء ، وأتاحت الفتوحات للمسلمين وسائل السفر فى البلاد المفتوحة، وهيأت أسبابه، خاصة بعد أن اتسعت رقعة الدولة الإسلامية فى آسيا وأفريقيا وأوربا، كما كان للحج أثر واضح فى تشجيع الرحلات، وكثيرا ما كان القيام بفريضة الحج نقطة انطلاق للرحالة الحاج، يندفع بعدها إلى السفر فى البلاد المختلفة، وتفقد عادات أهلها واستقصاء أحوالهم، وبالإضافة إلى نشر الإسلام وأداء فريضة الحج كانت هناك عوامل مساعدة على الرحلة كالتجارة ونقل البريد وجباية الخراج وما إلى ذلك(٤)ـ

هذا بالإضافة إلى اشتغال الكثير من الرحالة بالعلم والتعليم، وتولى البعض الآخر وظائف حكومية، ويشير الدكتور حسين نصار إلى أمر هام وهو أن شخصيات الرحالة كانت من العوامل التى دفعتهم إلى الأسفار(٥)ـضافة إلى إيمانهم بفائدة الرحلة(٦)ـ

أقسام الرحلات:

وقد قسم البعض الرحلات إلى أقسام عديدة وصلت أحيانا إلى خمسة عشر قسما(٧)ـ إلا أنه يمكن تقسيمها إلى أقل من ذلك فهناك رحلات دينية كرحلات الحج ورحلات الدعوة والتبليغ، ورحلات اقتصادية بهدف التجارة، وبهدف العمل خارج الوطن، أو جمع تبرعات لأهداف دينية كما حدث عندما سافر بعض مسلمى الهند لجمع التبرعات وتسليمها للدولة العثمانية، ورحلات علمية الهدف منها طلب العلم وهو سبب من أقدم الأسباب التى دفعت الناس للرحلة، ومن المعروف أن العلوم النقلية تفرض على مبتغيها الرحلة إلى منابعها، وهذا ما دعاه معظم علماء شبه القارة الهندية إلى السفر إلى مواطن العلم فى بلاد المسلمين، وهذا نفسه ما دفع بعدد من المغاربة إلى الرحيل تجاه المشرق لطلب العلم دون أن يستهدفوا الحج أو التجارة(٨)ـ

أما الرحلات الإدارية والسفارية فهى رحلات رسمية يقوم بها أفراد أو جماعة، لتحقيق هدف ما بناءً على طلب من إدارة الدولة أو الحاكم، وبعضها يكون واضح الهدف وبعضها يكون

غیر واضح بهدف التجسس وبعضها بغرض الهروب بسبب الاضطرابات السياسية والخوف من التعرض للقتل أو الأذى وهذا ما دفع بعض علماء الهند إلى الترحال عن ديارهم، والقدوم إلى الجزيرة العربية، لأداء فريضة الحج ثم الإقامة الدائمة .

وتبقى الرحلات الشخصية التى يقوم بها أشخاص حبا منهم فى السفر والترحال ، ورغبة فى التمتع بالحياة ، أما الرحلات التمويهية فهى قليلة إلا أننا نجد لها مثالا فى الحالات فى الأدب الأردى فقد حدث أن أعلن بعض أهالى شبه القارة الهندية أنهم يريدون السفر للحج ، بينما كانوا حقيقة يريدون بالإضافة إلى هذا تنظيم صفوفهم ، ودعم قوتهم دعما معنويا ودينيا ، ثم العودة إلى الهند لمحاربة الكفار ، كما حدث لرفاق المجاهد الكبير سيدا أحمد بريلوى شهيد (٩)۔

وأخيرا الرحلة الخيالية التى كتبها بعض الأدباء ممن لم تتوفر لهم ظروف السفر إلى مكان ما ، فتخيل الأديب نفسه مسافرا أو تخيل غيره مسافرا إلى هذا المكان، و محمد إقبال كتب فى هذا النوع نظما فقد كان يتوق إلى السفر إلى الأراضى المقدسة ، ولكنه لم يتمكن ، فجاء ت بعض أشعاره تتضمن رغبته وتقص حكاية سفر أحد المسلمين القادمين من بخارى وهو طريقة من مكة إلى المدينة(١٠)۔

تدوين الرحلات وعناصرها :

وصلت أخبار بعض الرحلات ، أو موجز لها أو مقتطفات منها اكتفى أصحابها بروايتها شفاها ، كما تناثرت أخبار بعض الرحلات ضمن كتب دونها أصحابها فى كتبهم العلمية ، أو دونوا نتائج هذه الرحلات فقط،(١١)۔ وكان تدوين الرحلة نتيجة لعدة أسباب منها تلبية طلب حاكم أو صديق أو قريب ، أو حرص الرحالة نفسه على إفادة القراء مثلما هو الحال فى الرحلة الحجازية ، هذا بالإضافة إلى حرص الرحالة على التاريخ والتعريف بالبلدان أو بقضايا علمية والحث على الترقى .

وهذه الأسباب كلها نجدها لدى من كتبوا رحلاتهم من أدباء الأردية وعلماء شبه القارة

الهندية الباكستانية .وقد دون الرحالة مشاهداتهم بطرق مختلفة ، فهناك من قام برحلة واحدة ، وهناك من قام بأكثر ، وقام أحدهم بتدوين رحلته فى كتاب ، وقام آخر بتدوين رحلاته فى كتاب أو خص كل رحلة فى كتاب وهناك من دونها فى حلقات نشرت على مدار شهور أو سنة فى مجلة أدبية أو جريدة يومية .

ودون الرحالة مشاهداتهم أو ملاحظاتهم مسهبة أحيانا وموجزة أحيانا ، أثناء قيامهم برحلاتهم أو بعد عودتهم منها ، وأعاد بعضهم تهذيب ما كتب قبلا .كما أن البعض لم يكتب عن رحلته آلا بعد فترة طويلة .وقد استخدم معظم رحالة شبه القارة كتبا مساعدة أثناء تدوينهم للرحلة وخاصة فى حديثهم عن الأمور التاريخية التى تتعلق بالأماكن التى يزورونها .

وهناك رحالة لم يدونوا رحلاتهم بل قام بتدوينها أحد مرافقيهم ، كما حدث بالنسبة لرحلة المودودى "رحلة فى أرض القرآن "، فقد دونها رفيقه فى الرحلة عاصم حداد ، وكذلك رحلة أمير بهاولبور إلى الجزيرة العربية سنة ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م ، ورافقه فيها عدد كبير من رجال بلاطه ، ومنهم شاعر البلاط أبو الأثر حفيظ جالندهرى ، ومولوى محمد عزيز الرحمن رحيم يارخان المشرف على المتحف السلطانى ، وهو الذى قام بكتابة الرحلة بعنوان " :فى حضن بيتك يااالهى الكل سواسية "كما نشير إلى أن رحلة سيد أحمد شهيد إلى الجزيرة العربية وردت ضمن كتاب عن سيرته(١٢)ـ

وقد اعتمد الرحالة بالإضافة إلى المشاهدات العينية على ما سمعوه من أخبار ، وكذلك على مطالعة الرحلات السابقة لمنطقة بعينها ، وعلى مطالعة كتب الجغرافية والتاريخ ، وكتب المعارف الأخرى ، والرحالة الذين كتبوا بالأردية يشيرون فى معظم الاحيان إلى مصادر معلوماتهم ، والمثال الواضح على هذا رحلة "الدكتور الحاج "محمد شجاع ناموس إلى الأراضى المقدسة التى "اكتظت "بالمعلومات التى أشار إلى مصادرها ، وكذلك بالصور والخرائط فقد رغب الكاتب ، وهو باحث وعميد كلية ، ان تكون رحلته رحلة علمية موثقة كأى بحث علمى (١٣)ـ

وفيما يتعلق بعناصر الرحلة ، فأغلب الرحلات تبدأ بمقدمة ، يتضح منها العنصر الدينى

كالتحميد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والتشهد وما إلى ذلك ، ويتحدث الكاتب بعدها عن الظروف التى دفعته إلى القيام بالرحلة وتدوينها والأمور التى اعتنى بها ، والمنهج الذى سلكه فى تدوين الرحلة ، ويلى ذلك الأمور الجغرافية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، طبقا لاهتمامات الكاتب ,كما ذكر الدكتور سمير عبد الحميد نوح فى كتابه ":الجزيرة العربية فى أدب الرحلات الأردى ,فليراجع إلى ذلك بالتفصيل.

وتتضمن ذكر الأمور الجغرافية الطبيعية ، ووصف الطرق والمدن والمرافق وغيرها ، وكذلك الظواهر المناخية والثروات الطبيعية بكافة أنواعها ، بينما الأمور الاجتماعية التى تلقى عناية هامة من الرحالة تتضمن الحديث عن البشر وفئات وطبقات المجتمع، ولغات الشعوب ، ووضع الرجال والنساء فى المجتمع وغيرها .أما الأمور الثقافية فتتضمن الحالة العلمية فى البلاد ، وذكر العلماء والأدباء والمدارس وحلقات الدرس والأدب وما إلى ذلك ، وفيما يتعلق بالأمور الاقتصادية فتشمل الكتابة عن النظم الاقتصادية والمراكز التجارية والأسواق والزراعة والصناعة وما إلى ذلك (١٤)۔

لغة الرحلة :

لاشك أن بعض الرحالة كانوا من الأدباء ، فساد الطابع الأدبى كتاباتهم ، وزخرت مادة رحلاتهم بالعناصر الأدبية ولهذا درج الكتاب العرب على استخدام عبارة "أدب الرحلات "للإشارة إلى كتابات الرحالة المسلمين (١٥)۔

كانت مقدمة الرحلة عادة وبخاصة فى العربية تصاغ بلغة تختلف عن لغة الرحلة ذاتها ، فهى تصاغ بلغة أدبية .أما لغة الرحلة ذاتها فهى بلغة سهلة سلسة تكاد تقترب من لغة الحديث اليومية ، إلا أنه فى اللغة الأردية اختلف الأمر نظرا لطبيعة اللغة ذاتها ، ونظرا للفترة الزمنية التى ظهر فيها هذا الفن ، فصدرت رحلات بالأردية على مستوى أدبى رفيع ، ضمنها كاتبوها الأشعار ، وأدمجوا فى سياقهم آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية التى ربما احتاجوا إليها للتعليق على موقف أو الفصل فى قضية ما ، وكما هو فى العربية قد تغلب المشاعر الفياضة على

بعض الرحالة والأدباء منهم بخاصة ، فتفيض على أسلوبهم ، فتأتى لغتهم رقيقة المستوى عظيمة التأثير والامتاع،(١٦)ـ وقد أشار كراتشوفسكى إلى أنه كثيرا ما يكون أسلوب الرحلة على مستوى عال من الفن والصياغة الأدبية،(١٧)ـ ويذكر الدكتور زكى محمد حسن فى كتابه الرحالة المسلمون(١٨)ـأن القيمة الأدبية فى الرحلات تتجلى فيما تعرض فيه موادها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب ، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفنى ، وعلى كل حال فمعظم الرحالة المؤلفين كانوا كتابا وأدباء مما جعل كتاباتهم تصل إلى مرتبة النثر الفنى فى أغلب الأحيان ، وهذا ما نلاحظه بوضوح فى أدب الرحلة فى اللغة الأردية .

وقد استبعد الدكتور حسين نصار عن مجال هذا الفن أربعة أنواع من الرحلة : الرحلات التى كتبها العلماء للتزود من العلوم التى تخصصوا فيها مثل الجغرافيا والتاريخ والصيدلة وغيرها ، والرحلات التى كتبها رجال البريد والحكومة غالبا ، لإبانة الطرق والمسالك بين الممالك ، عدا بعض الاستطرادات الشخصية .وكذلك الأجزاء التى وصف فيها الرحالة الطرق والعمائر وما ماثلها وصفا مباشرا يهدف إلى التعريف بها فقط ، وما شابه ذلك من رحلات،(١٩)وحدد الدكتور حسين نصار الأنماط الأدبية وأجملها فيما يلى :

- تقارير رحلات السفر بعامة
- الرسائل التى تمثلت فى الرحلات والرحلة بمعناها الدقيق(٢٠)ـ

وعلى كل حال فهذه موجودة بكثرة فى الأدب الأردى .

الرحلات فى التاريخ الإسلامى :

نشطت الرحلات فى فترة ما بعد الفتوحات الإسلامية نظرا لاتساع رقعة العالم الإسلامى ، وازدهار الفكر وتنوع منابع المعرفة ، ولم يكتب الرحالة الأوائل أخبار رحلاتهم فى مؤلفات قائمة بذاتها إلا نادرا ، فقد وردت هذه الرحلات فى كتب التاريخ أو تقويم البلدان ، وما كتب بين القرن الثالث الهجرى عن الرحلات كثير جدا، وبعدها حدث ما يشبه الكساد ثم ازدهرت الرحلة فى القرن الثالث عشر الهجرى (١٩)فى وقتنا هذا(٢١)ـ

لمحة تاريخية عن الرحلات

ونرى من المفيد الإشارة إلى أهم الرحلات طبقا للترتيب الزمنى :

الرحلات فى القرن الثالث الهجرى :

- رحلة سلام الترجمان وهى رحلة تكليفية من قبل الواثق بالله إلى حصون جبال القوقاز عام ٢٢٧ هـ وقد عهد الخليفة بالمهمة إلى سلام الترجمان لأنه كان يتكلم ثلاثين لسانا (٢٢)-

- رحلة ابن موسى المنجم وهى رحلة استطلاعية رسمية من قبل الخليفة الواثق بالله أرسل فيها محمد بن موسى المنجم إلى بلاد الروم لينظر إلى أصحاب الرقيم .

- رحلة سليمان السيرافى وهى رحلة تجارية قام بها سليمان السيرافى من بلدة سيراف على ساحل الخليج العربى إلى الهند والصين واشتملت الرحلة على معلومات ومعارف .

- رحلة ابن وهب القرشى إلى بلاد الصين .

- رحلة اليعقوبى فى البلدان الإسلامية :أرمينيا وفارس والهند والجزيرة العربية، وبلاد الشام والمغرب والأندلس وضمن رحلته كتابه "البلدان . "

الرحلات فى القرن الرابع الهجرى :

- رحلة ابن فضلان وهى رحلة رسمية من قبل الخليفة المقتدر بالله ، وكان الخليفة قد أرسل ابن فضلان على رأس وفد إلى ملك الصقالبة ليفقهه فى الدين ، بناء على طلبه ، ووصل الوفد هناك عام ٣١٠هـ / ٩٢٢ م بعد رحلة استغرقت فى الذهاب أحد عشر شهرا .

- رحلة المسعودى ، الأديب المؤرخ الجغرافى الرحالة ،إلى فالرس وكرمان ثم ملتان وسرنديب ومدغشقر وعمان وذلك عام ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م وفى سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م ارتحل إلى أذربيجان وجرجان ثم منها إلى الشام وفلسطين وفى سنة ٣٣١ هـ /٩٤٢ م عاد إلى إنطاكية والثغور الشامية ، واستقر فى مصر سنة ٣٤٥ هـ ٩٥٦ م .

- رحلة أبن حوقل وهى رحلة جغرافية علمية طاف فيها الرحالة العالم الإسلامى لثلاثين سنة وبعدها كتب كتابه الشهير ":المسالك والممالك."

- رحلة المقدسى :رحلة جغرافية فى ربوع العالم الإسلامى وردت باسم "أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم. "

- رحلة أبى دلف وهى رحلة رسمية من قبل الأمير السامانى نصر بن أحمد إلى الصين حوالى سنة ٣٣١ هـ/٩٤٢ م الرحالة أديب وشاعر .

- رحلة الفِتية المغررين ، رحلة جريئة فى بحر الظلمات (المحيط الأطلسى) قام بها بعض الفتية من الأندلس ، وقد ذكر الإدريسى الرحلة فى كتابه ":نزهة المشتاق "، ويرى د . شوقى ضيف أنه ليس بين أيدينا ما يدل دلالة قاطعة على أن الأندلسيين قاموا بذلك فعلا(٢٣)ـ

الرحلات فى القرن الخامس الهجرى :

- رحلة البيرونى الذى عاش فى بلاط السلطان محمود الغزنوى سنة ٤٠٨ هـ/١٠١٧ م وكتب عن رحلته (٤٠ سنة) إلى الهند "تحقيق ما للهند من مقولة فى العقل أو مرذولة . "

الرحلات فى القرن السادس الهجرى :

- رحلة الإدريسى الذى ولد فى سبته ، وتعلم فى قرطبة ، وتجول فى أسبانيا وشواطىء فرنسا والبحر الأبيض المتوسط والمغرب وآسيا الصغرى حتى وصل إلى صقلية ليكتب بعدها عن رحلته ":نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . "

- رحلة أبن جبير :سافر من طريق سبتة إلى الاسكندرية والقاهرة والبحر الأحمر ومكة المكرمة ثم إلى العراق ، ومنها إلى حلب ودمشق وعكا وصقلية وغرناطة سنة ٥٨١ هـ/١١٨٥ م ثم عاد إلى الشرق بعد أربع سنوات ، وتوفى فى الإسكندرية .

- رحلة أبى حامد الغرناطى إلى إفريقيا الشمالية وشرق أوربا والشام والعراق ومصر والفولقا وبلاد الخزر والبلقان ، وقد سجل مشاهداته فى كتاب أسماه " :تحفة الأصحاب ونخبة الإعجاب(٢٤)ـ

- رحلة أسامة بن منقذ و كان مجاهدا ضد الصليبيين وأديبا وشاعرا ، دون رحلته بين مصر وسوريا والعراق فى كتابه ":الاعتبار "الذى كتبه عن الصليبيين (٢٥)ـ

- رحلة الهروى :وهو على بن أبى بكر الهروى الذى ساح فى ربوع العالم الإسلامى ،

ودون رحلته فی کتابه " :الإشارات فی معرفة الزیارات "اهتم فیه بوصف المساجد والأبنیة والعمائر والآثار .

الرحلات فی القرن السابع الهجری :

- رحلة عبد اللطیف البغدادی ، وهی رحلة ثقافیة طاف خلالها ربوع الشام ومصر ، وکتب عن رحلته فی کتابه ":الإفادة والاعتبار فی الأمور المشاهدة والحوادث المعاینة بأرض مصر "ویری الدکتور شوقی ضیف أن الکتاب طرفة من طرف کتب الرحلات ، فصاحبه کان ناقدا بصیرا وعالما فیلسوفا .(٢٦)-

- رحلة یاقوت الحموی .الذی رحل فی سبیل التجارة من حلب إلی خراسان ومرو وخوارزم ، وتراجع أمام زحف جنکیز خان إلی الموصل فحلب ، وألف کتابه الشهیر ":معجم البلدان. "

- رحلة أبن سعید المغربی :رحلة ثقافیة دینیة بدأت بالرحلة إلی الحج عن طریق الاسکندریة فالقاهرة (4 سنوات) ثم حلب ودمشق والموصل والبصرة وبغداد ، ثم حج إلی مکة وعاد إلی المغرب وارتحل ثانیة إلی الشرق ، فوافاه الأجل فی دمشق عام ٦٧٣ هـ / ١٢٧٤ م وکتب مشاهداته فی "النفحة المسکیة فی الرحلة المکیة "(٢٧)-

- رحلة العبدری وهی رحلة جعرافیة صدرت فی کتاب بعنوان "الرحلة المغربیة "وکان الهدف الأساس منها الحج .

- رحلة التیجانی ، وهی رحلة للحج عاد صاحبها التیجانی إلی تونس بعد 32شهرا من السیاحة فی البلاد العربیة .

الرحلات فی القرن الثامن الهجری :

فی هذا القرن بلغت الرحلات ذروتها من حیث الغنی والاتساع ، وکتبت رحلات کثیرة إلا أن رحلة أبن بطوطة التی استغرقت ثمانیة وعشرین عاما هی الرحلة الشهیرة فی هذا القرن ، وقد بدأها أبن بطوطة من مسقط رأسه طنجة ، ووصل إلی بلاد الصین ، وحج خلالها أربع مرات ، وأمضی فی فاس الأعوام الأخیرة من حیاته (٢٨)-

الرحلات فى القرن التاسع الهجرى :

اشتهر فى هذا القرن رحالة كثيرون أمثال الظاهرى ، والملك قايتباى ، ويونس الإفريقى(٢٩)ـ ورحلته الأولى رحلة تجارية علمية ، ورحلته الثانية رحلة عسكرية إلى سوريا وقد سجل له أحد كتابه الرحلة فى كتاب بعنوان ":القول المستطرف فى رحلة مولانا الملك الأسرف "(٣٠)ـ

الرحلات بعد القرن التاسع الهجرى :

وبعد القرن التاسع الهجرى تراجع أدب الرحلة بسبب الضعف والجمود والانقسام وتردى أحوال العرب والمسلمين ، وهكذا لم تصلنا غير أخبار قليل من الرحلات مثل "ماء الموائد "لعبد الله المراكشى العياشى عن رحلته إلى مكة ، ورحلة الشيخ عبد الغنى النابلسى الدمشقى إلى مصر والقدس وبغداد .ورحلة على الجبيلى اللبانى الذى زار اليمن والحجاز والهند وايران والعراق ، صاغ رحلته شعرا .(٣١)ـ

وبعد فترة الجمود والتفكك تطور الغرب فى أوربا ، وحاول العالم الإسلامى الخروج من قوقعة الانغلاق ومن هنا شكلت الرحلة دورا رئيسا فى محاولات كشف العرب والمسلمين لأوربا فى ثوبها الجديد .

فبدأت فترة أخرى نشطت فيها الرحلة سواء لدى العرب أو لدى غيرهم من المسلمين كما هو الحال لدى مسلمى الهند ، وكان هدف الرحلة إلى داخل العالم الإسلامى وأيضا إلى خارج حدود العالم الإسلامى ، إلى أوربا خاصة ، بدءا من القرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى ، كان الهدف الكشف عن سر تقدم الأوربيين ، والتدبر فى أمر ما يمكن أخذه عنهم ، بما يساعد الأمة الإسلامية على النهوض من كبوتها ، والاستيقاظ من غفوتها الطويلة بهدف مواكبة العصر الحديث .(٣٢)ـ

ومع تطور المواصلات اتخذ أدب الرحلة أسلوبا جديدا فى العصر الحديث فلم تعد الرحلة تستغرق سنوات أو شهورا بل تقلصت ، وربما استغرقت أسبوعا أو أقل إلا أن قلم الأديب يستطيع أن يعبر عن رحلته القصيرة ، ومشاهداته ومشاعره ، ومن هنا صار هذا الفن من فنون

الآداب المقروء ة .

أدب الرحلات فی اللغة الأردية:

كذلك برز أدب الرحلات فی اللغة الأردية، وهنا نذكر أن الأدب الأردى أيضا ، قد تضمنا ترجمة عدد من الرحلات التی قام بها رحالة غير عرب إلى مناطق مختلفة من العالم ، وهذا من شأنه أن يثرى الأدبين معا ، ونذكر ما كتبه الشاعر الهندى أبو طالب خان عن رحلته إلى العراق وأوربا (عاش ما بين سنة ١٧٥٢ م ١٨٠٦ م) وترجمت رحلته عن الفرنسية إلى العربية(٣٣)۔ ورحلة أخرى قامت بها "آن بلنت "إلى الجزيرة العربية وهی بعنوان رحلة إلى بلاد نجد ، وقد ترجمها إلى العربية محمد أنعم غالب(٣٤)۔

وقد ترجمت أيضا إلى الأردية ، كما ترجمت رحلات ماركوبولو(٣٥)۔ وترجمت رحلة " ولفريد تسينجر "بعنوان فوق الرمال العربية ، وقد ترجمها ترجمة حرة وبتصرف محمد محمد عبد القادر ، وكذلك رحلة ناصر خسرو إلى الجزيرة العربية ومصر وترجمها الدكتور يحيى الخشاب وطبعت فی مصر كما ترجمت مرة ثانية وطبعت بالرياض (٣٦)۔

أدب الرحلات نوع من أنواع النثر، فله دور كبير فی تطوير النثر الفنی فی العالم العربی وغيره كبلاد الهند و جمهوريات آسيا الوسطى.

الهوامش

١- شوقى ضيف :الرحلات ، ط دار المعارف -القاهرة عام ١٩٥٦ م ص٦

٢- شوقى ضيف :الرحلات، ص١٢وهكذا جاء كتاب المسالك والممالك لابن حوقل (ت 4هـ) وأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر المقدسى (ق٤هـ)، ونزهة المشتاق فى اختراق الآفاق للادريسى اكبر جغرافى بلاد المغرب والأندلس، وآثار البلاد وأخبار العباد للقزوينى وغيرها.انظرالمصدر السابق ص :٢٦-١٢

٣- حسين محمد فهيم :أدب الرحلات،سلسلة عالم المعارف رقم ١٣٨الكويت ١٤٠٩هـ/١٩٨٩ م ص ١٢١

٤- عيسى فتوح:الرحلات فى التاريخ الإسلامى ، بمجلة التربية منظمة التربية والثقافة لدول الخليج ١٩٩١ م ص١٩٠

٥- د .حسين نصار :أدب الرحلة، مكتبة لبنان ص ١٥

٦- المصدر السابق ص١٦

٧- الحجازية،السياحية ، الرسمية ، الدراسية ، الأثرية ، الاستكشافية ، الزيارية ، السياسية ، العلمية ، المقامية ، الدليلية ، الخيالية ، والفهرسية والسفارية العامة .انظر حسين نصار :أدب الرحلة، ص ١٩-٢٠

٨- حسين نصار :أدب الرحلة ص٣٤

٩- انظرالدكتور سمير عبد الحميد نوح فى كتابه ":الجزيرة العربية فى أدب الرحلات الأردى ، الفصول المتعلقة بالرحلة.

١٠- انظر الدكتور سمير عبد الحميد نوح فى كتابه،الفصل الثامن ":الجزيرة العربية فى أدب الرحلات الأردى.

١١- ويذكر هنا أن تاريخ أدب الرحلة يمتد إلى ما قبل ظهور المسيح بحوالى ٣٠٠سنه كما انه من الملاحظ أيضا ان الامر يرجع إلى ما قبل ذلك فقدماء المصريين سطروا رحلاتهم بالكتابة والصور على جدران معابدهم.

١٢- انظر أمثلة فى الرحلات العربية فى كتاب أدب الرحلة لحسين نصار ص ٦٣

١٣- انظر الدكتور سمير عبد الحميد نوح فى كتابه ":الجزيرة العربية فى أدب الرحلات الأردى ،

الصفحات المتعلقة بالرحلة.

۱۴- انظر حسين نصار أدب الرحلة ص ۱۱۶–۱۲۵

۱۵- حسين محمد فهيم :أدب الرحلات ص :۱۷

۱۶- حسين نصار :أدب الرحلة ص:۱۲۸

۱۷- اغناطيوس كراتشكوفسكي :تاريخ الأدب الجغرافي :تعريب صلاح الدين عثمان هشام ومراجعة انيوريليان ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، جامعة الدول العربية ۱۹۶۱م ص ۳۳۱

۱۸- زكي محمد حسن،الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ط دار المعارف مصر ۱۹۴۵ ص ۱۸۰

۱۹- حسين نصار :أدب الرحلة ص ۱۳۱

۲۰- حسين نصار :أدب الرحلة ص ۱۳۲

۲۱- حسين محمد فهيم :أدب الرحلات ص ۸۹–۱۱۷

۲۲- حسين محمد فهيم :أدب الرحلة ص ۹۰–۹۱ وأيضا :الرحلات في التاريخ الإسلامي مقال بمجلة التربية بقلم عيسى فتوح،مجلة محكمة تصدر عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم ، العدد الخامس بعد المائة السنة ۲۲يونيو۱۹۹۳م قطر الدوحه ، ص :۱۹۰

۲۳- د .شوقي ضيف :الرحلات ص:۴۲وما بعدها

۲۴- عيسى فتوح :الرحلات في التاريخ الإسلامي ، مجلة التربية ، ص :۱۹۲

۲۵- شوقي ضيف :الرحلات ص:۵۶–۵۷

۲۶- نفسه ص:۶۰–۶۱

۲۷- عيسى فتوح :الرحلات في التاريخ الإسلامي ، مجلة التربية ص :۱۹۳

۲۸- عيسى فتوح :الرحلات ص:۱۹۴ وانظر أيضا شوقي ضيف:الرحلات ص ۹۵–۱۲۲

۲۹- المصدر السابق ص :۱۹۴

۳۰- المصدر السابق ص :۱۹۵

۳۱- نفسه ص :۱۹۵

۳۲- حسين محمد فهيم :أدب الرحلات ص :۱۰۶

۳۳- ترجمها مصطفى جواد طبعت في بغداد سنة ۱۳۸۹هـ/۱۹۶۹م

۳۴- طبعت في الرياض ، دار اليمامة ۱۳۸۶هـ/ ۱۹۶۷م

۳۵- ط القاهرة ۱۹۷۷م

٣٦- انظر ثبت أسماء الرحلات المترجمة بكتاب د .حسين نصار ، أدب الرحلة ص :١٥٥-١٥٩ ،فليراجع إلى ذلك بالتفصيل :الدكتور سمير عبد الحميد نوح فى كتابه ":الجزيرة العربية فى أدب الرحلات الأردى .جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية -عمادة البحث العلمى- المملكة العربية السعودية ١٩٩٩م.

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆